

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّكِدُمْ أَنفُسُهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

آيات أربع تبين موقف هذا الإنسان - السامي - بعد سائر أنساله في الأرض، أن جعله الله خليفة في الأرض، بعدما خلق له ما في الأرض كأنه هو فقط إنسان الأرض، وبعد أن أعطاه المعرفة التي يعالج بها خلافة الأرض، لئلا يخلد إلى الأرض ويتبع هواه ويفرط عن هداه، بل يتابع صراطه الإنساني إلى الله، فيحقق في نفسه خلافة الله، فلنَعِشْ رِدْحاً مع هذه الخلافة السامية، بعين البصيرة وانسراح الصدر، في ومضات الاستشراق، مطلين على ساحته الأعلى، متطلعين إلى المشية العليا، حيث الجعل رباني فليكن الخليفة ربانياً، مثلاً أعلى للرب آية لربوبيته، لا مثلاً ينوبه سبحانه سبحانه!

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾

آية يتيمة منقطعة النظير في تصريح الخلافة الأرضية لهذا الإنسان، مهما تلمح لها وتلمع آيات أخرى في إشارات... يحق لنا أن نجد السير بهذه

اليتيمة بكل إمعان وإتقان، في كل لفظة أو لمحة، ولكي نحصل منها على معرفة منقطعة النظير.

﴿وَإِذْ﴾ ترى ما هو المعطوف عليه هنا؟ لا نجد هنا معطوفاً عليه مذكوراً يناسبه، فليكن سرّاً بين الله ورسوله غير مذكور لنا، حيث الخطاب هنا له ﷺ ذاتياً لا لنا.. ف«اذكر» «واذكر» إذ قال ربك..

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾ ولماذا ﴿رَبُّكَ﴾ لا «رَبِّ الْعَالَمِينَ»؟ علّه لأن له الحظ الأعظم من هذه الخلافة، فهو الخليفة الأعظم والإمام الأقدم، ابن لآدم الأوّل صورةً وأبوه سيرة وسريرة!:

وإني وإن كنتُ ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهدُ بأبوتي، كما وأعظم الأسماء التي علمها الله آدم هو الحقيقة المحمدية كما تأتي.

﴿... قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: و﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾^(١) ﴿... مِّن صَلْصَلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٢) ف«بشراً من طين من صلصال من حمأ مسنون»، هو الخليفة في الأرض مهما اختلف هذا الخلق عن ذلك الجعل حيث خلق بشراً من طين ثم جعل إنساناً خليفة.

ثم ترى وماذا تعني الخليفة عامة وماذا هنا؟ إنها من الخلف: أن يأتي كائن خلف آخر ينوبه في كونه أو كيانه أو صفاته وأفعاله، وكأنه هو بعده، مهما اختلفا في درجات، فلا بدّ إذاً من مشاركة بينهما تهمة الخلافة، وتاء الخليفة للمبالغة، أنه يتابع ما للمستخلف عنه بجدّ بالغ وعزم فارغ، أو يزيد عنه كما هنا، أو ينقص أو يساوي كما في غيرها، على اشتراك ذلك المثلث

(١) سورة ص، الآية: ٧١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٨.

من الخلفاء في المجانسة مع المستخلف عنه كوناً وكياناً قضية الخلافة في حقها وحاقيها .

فهل إن هذا الإنسان - إذاً - خليفة الله؟ أن يخلف الله في ألوهيته في أرضه، كأنه غائب عن الأرض، فالإنسان له خليفة ونائب في الأرض؟ ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾^(١) فلماذا الخلافة في الأرض؟ وله الحكم في الأرض كما في السماء، وليس الرسل إلا مبلغين عن الله، لا خلفاء أو وكلاء أو نواب عن الله! فلماذا الخلافة في الأرض؟

ولو أنها الخلافة الإلهية في الأرض لكانت الملائكة المخاطبون هنا أخرى أن يفهموها، فلماذا السؤال أو الاعتراض: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؟ فهل إن خليفة الله في فهم ملائكة الله يفسدون ويسفكون؟! وهم أنوار عارفون، لا يتهمون الرب فيما يخفى، فكيف فيما يجلو! ف«ما علم الملائكة بقولهم أتجعل فيها . . لولا أنهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها ويسفك الدماء»^(٢) فالخليفة هنا إنسان يخلف إنساناً مضى أم من ذا، لا أنه يخلف الله وسبحان الله أن يخلفه إنساناً أم من ذا .

لا نجد تصريحاً ولا إشارة قرآنية على خلافة الله هذه، اللهم إلا أن يجعل الله إنساناً خليفة عن سالفه، فقد يُسمى خليفة الله ولا تعني أنه يخلف الله ومعاذ الله، وإنما الذي نصبه الله نائباً يخلف مثيله في منصبه، نبوة أو إمامة أم ماذا: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾^(٤) ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤ .

(٢) تفسير البرهان ١: ٧٤ - العياشي عن هشام بن سالم قال قال أبو عبد الله عليه السلام . . .

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦ .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥ .

أَرْضٍ ﴿١﴾ فهنا خلافة خاصة كما لداود وأضرابه، وهناك عامة كما للناس أجمعين عن ناس قبلهم، أو بعضهم عن بعض.

فمن المستحيل خلافة الله نفسه لأي من العالمين وحتى الحقيقة المحمدية فـ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ ﴿٢﴾ و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ﴿٣﴾ فهو هو لا يخلف الله في أي من شؤون الألوهية والربوبية حتى ولا في بلاغ الأحكام، وإنما هو رسول، لا خليفة ولا نائب ولا وكيل، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ﴿٤﴾ و﴿كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٥﴾ ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٦﴾.

فإذا لا يكون أفضل المرسلين وأول العابدين وكيلاً لرب العالمين فهل هو بعد خليفة عنه، وهي أسمى المنازل وقمة المراحل؟ أو هل يكون آدم بذريته كلهم خلفاء الله؟ وليس أصفياهم وكلائه!

أم أنه خليفة الملائكة حتى يستجيش مشاعرهم وضمائرهم لحد الاستفهام كأنه اعتراض: ﴿أَتَجْعَلُ...﴾؟

وهم عارفون أنفسهم أنهم معصومون ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٧﴾ فلا يستخلف عنهم ربهم إلا كأمثالهم أو أطوع منهم وأرقى! فلماذا يسألون ﴿أَتَجْعَلُ...﴾ أو قد كان يكفيهم ﴿وَنَحْنُ سُبِّحٌ بِحَمْدِكَ...﴾ دون تقصير، فلماذا الاستخلاف!

(١) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٧) سورة النحل، الآية: ٥٠.

كما وأن الملائكة لم يكونوا ولن - من سكنة الأرض حتى يخلفهم خليفة في الأرض: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (١) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخَلُفُونَ﴾ (٢) ﴿وَإِنَّهُمْ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتُمْ بِهَا﴾ (٣) ﴿فَجَعَلُ الْمَلَائِكَةَ فِي الْأَرْضِ مستحيل حتى تقوم الساعة، فكيف يخلفهم إنسان الأرض وفيهم يخلفهم؟ أم فيما هم يؤمرون في السماء، عزلاً لهم عن مقاماتهم فهم عُزَّل؟ أم فيما يرسلون به إلى الأرض؟ أم ماذا؟! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم!

أو هم خليفة الجن، المفسدين في الأرض ومسفكين؟ وهم قد خلقوا قبلهم! ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُورِ﴾ (٣)؟

ولكنهم بعد لم ينقرضوا، أو لم يُبعدوا عن الأرض حتى يخلفهم فيها إنسان الأرض، ثم ولا نعرف خلافة للإنسان عنهم فيما لهم من حياة الأرض، فكيف يكون الإنسان إذاً خليفة عنهم في الأرض؟!

أو هم بنو الإنسان، حيث يخلف بعضهم البعض: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَيْفَةَ الْأَرْضِ﴾ (٤) ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (٥) ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ (٦).

وآية الخلافة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ...﴾ تعني خلافة آدم الأوّل ومن ثمّ بنيه، فليكن هو الخليفة الأصل ثم فروع الفروع، وأن ﴿خَلَيْفَةٌ﴾ تعني - على

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٥.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٧٤.

أكثر تقدير - هذا النسل أجمع: بأصله وفرعه، وعلى أقل تقدير: آدم وزوجه، فلا بد هناك على أية حال من مستخلف عنه قبل هذا النسل.

أم هم خليفة من سلفهم وانقرض من نسل أو أنسال ترابية عاقلة مكلفة أفسدت في الأرض وسفكت الدماء، فأهلكهم الله بأن قامت قيامتها وانقرضوا، فأبدلهم الله بهذا الإنسان وجعله خليفة عنهم؟..

وهكذا يبدو من آيتها هذه وسائر آياتها ورواياتها..

ف«ما علم الملائكة بقولهم: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ لَوْلَا أَنَّهُمْ قَد كَانُوا رَأَوْا مِنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١).

فهذه السابقة السيئة التي رأوها ممن سلف من الخليقة الأرضية هي التي استجاشتهم حتى سألوا، معترضين على الخليفة الأرضية: ﴿أَجْعَلُ...﴾ تكراراً لما سلف من إفساد وسفك، وما هي الحكمة إلا مزيد الصلاح والعبادة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وهم لا يسبحون ولا يقدسونك!

فلم يكن يقنعهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لو أنهم خليفة الله، إذ كانوا هم كذلك يعلمون أنه لا يعصى الله فلم يكونوا ليسألوا حائرين.

ولا - لو أنهم خليفتهم أنفسهم، إذ هم يعلمون من أنفسهم ما يعلمون من نزاهة وطهارة، فكيف كانوا إذا يسألون؟

فإنما يقنعهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما ينبتهم من غيب هذه الخليفة، خلاف ظهوره الذي مضى مثله، من إفساد وسفك، فلم يقل «إنهم لا يفسدون ولا يسفكون» حيث هما معروفان متداولان في تاريخ الإنسان، وإنما ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من مميزات هذه الخليفة في البعض من

(١) تفسير البرهان ١: ٧٤ - العياشي عن هشام بن سالم قال قال أبو عبد الله ﷺ ..

مصاديقها وأفرادها، من مُثَلِّ عليا لا تصل أيدي ولا أفهام الملائكة إليها، وفيها جبرٌ كامل لمن يفسدون فيها ويسفكون الدماء من أفرادها.

وكما ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ ولكي يروا النموذج الأول من هذه الخليفة أنه يعلمهم وهم تلاميذه، فضلاً عن الأسماء التي عَلَّمَ آدم وهم أشباح من الحقيقة المحمدية وسائر الخمسة!

فلأنهم خفيت عنهم حكمة المشيئة العليا في استخلاف هذه الخليفة، بما عرفوا ممن سبقها من إفساد وسفك وفتك، سألوا سؤالهم، فأجابهم الله بما يعلم من خير أكثر من هذا الشر الجزئي!

هذه الجيوش من البراهين القرآنية نستجيشها لإثبات هذه الملحمة الغيبية التي تتفرد بها آيتنا اليتيمة هذه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أنها خلافته لمن سبق من أنسال أمثاله، مع ما تساندها من روايات متظافرات مهما عارضتها أخرى مختلفات ومختلفات، فالأصل هو كتاب الله مورداً ومالاً، جملة وتفصيلاً: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَنْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ﴾^(١).

فقد عاش قبل هذا الإنسان نسل أو أنسال ترابية عاقلة مكلفة^(٢) لا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٠.

(٢) وقد تكون بعض الأجساد المكتشفة الضاربة إلى عشرات آلاف السنين قبل هذا النسل، قد تكون من الأنسال السابقة، دون أن تكذب تاريخ هذا النسل.

ثم وهؤلاء الذين عاشوا قبل هذا النسل قد يسمون بالنسناس وهم ناس أشرار كما في تفسير نور الثقلين ١: ٥٨ عن علل الشرائع عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث الخلافة: ثم قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والنسناس فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق عظم ذلك عليهم - إلى أن قال - : «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ سُبْحَانَكَ أَتَجْعَلُ فِيهَا...».

وفيه (٥٩) عن كتاب التوحيد للصدوق عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل يقول في آخره: لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد؟ أو ترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين.

نعرفها، عرفتها الملائكة من ذي قبل فضاقت بها ذرعاً ففرحت بانقراضها، فرحة العبد لمولاه إذ يجده يعبد ولا يعصى، ثم تضايقت من جعل خليفة لها، دون أن تحسب حساباً لخلفيات سؤالها فجعلهم الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أن قد تكون هذه الخليفة أعلى منكم في عبادة ربها، مهما كان فيها ببعض أنسالتها فساد وسفك للدماء.

وترى أن سؤالها هذا يتنافى وعصمتهم، أن اعتراضوا على الله لماذا الخليفة؟ واغتروا بما عرضوا من تسبيحهم وتقديسهم؟ وقد كذبوا كما قال الله: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهم كما يعرفنا الله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿١﴾ فكيف سبقوه بقوله السؤال دون نظرة الإيضاح من الله و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٢﴾ فكيف لم يخافوه إذ سألوه، وكيف فعلوا ما فعلوه ولم يؤمروا؟

إن السؤال ليس نصاً ولا ظاهراً في الاعتراض، وإنما سألوها استيضاحاً إذ جهلوا كيف ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؟ ثم وذكر النعمة والرحمة ليس اغتراراً بل والتحديث بها مكرمة ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ﴿٣﴾ وكان ذكرها تنمة السؤال: إن كان جعل الخليفة للعبادة فنحن لها، وإن كان غير ذلك فبين لنا.

ثم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وإن كان تلميحاً بالكذب، ولكنه كذب جاهل لا كذب متعمد، فإنهم سألوها جاهلين كأن فيهم الكفاءة فلماذا هذه الخليفة؟ فقد كذبوا قاصرين لا مقصرين، وهكذا كذب يشمل العالمين أجمعين: أن

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الضحى، الآية: ١١.

يجهلوا كثيراً مما يعلمه رب العالمين، فمنهم من يبرزه بسؤال وسواه كهؤلاء الملائكة، ومنهم من لا يسأل كالرعيل الأعلى من النبيين.

ثم ومن نقد الملائكة الخليفة الأرضية: ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ومقابلتهم لهذا النقد بما لهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نعرف أن الشر كله يختصر في الإفساد والسفك، والخير كله في التسبيح بالحمد والتقديس لله، فليكن صحيحاً مصداقاً عند الله إلا في الآخرين، أن المعرفة هي القمة في الخير، التي تنتج تسبيحاً بالحمد وتقديساً أعلى وأحرى.

فالإفساد في الأرض يشمل كل فساد فردي يفسد فاعله، وجماعي يفسد مجتمعه، نفسياً أم مادياً، ومن أظهره جمعاً بينها سفك الدماء فإنه جماع الإفساد.

ولماذا تسبيح بالحمد وليس التسبيح وليس الحمد والتسبيح والحمد؟ أقول: لأن تسبيحه فقط دون حمد نفي بلا إثبات، والنفي ذريعة الإثبات، والحمد دون تسبيح إثبات ناقص لأنه إثبات بحدود المعرفيات ووصف له تعالى محدود و﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(١) وكذلك التسبيح والحمد دون رباط، حيث التسبيح ينفي والحمد لا يثبت ما يليق بساحته.

فأما التسبيح بحمده، فأن نحمده مسبحين منزهين لساحة قدسه عن إثباتاتنا المحدودة، وإنما: عالم = ليس يجهل. قادر = ليس يعجز.

موجود = ليس بمعدوم. . وهكذا في كافة صفاته الثبوتية، ألا نصفه في حدود أفكارنا بما نعرفه ونأنسه من صفات وإثباتات، وإنما نسبحه بحمده: ننزهه في حمدنا إياه عما هو لزام حمدنا من حدود وتخيلات، وإنما إثباتاتنا تنحو منحى نفي كل ما عندنا وفي عالمنا وحدود تصوراتنا وإدراكاتنا عن

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

ساحة قدسه، فالصفات الثبوتية تؤوّل الى السلبية من نوع آخر، فهو إذاً «خارج عن الحدّين حدّ الإبطال وحدّ التشبيه» لا منفيّ إطلاقاً، ولا مثبت له شبيهه، فما أجمله وأحلاه: «التسبيح بالحمد»!

ثم ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ تعني ما تعنيه و﴿سُبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ وزيادة: أننا نعيش تقديساً لذاتك وصفاتك وتصرفاتك، وفي أنفسنا تعبداً لك وخشوعاً، وفي أفعالنا اتباعاً لك وبخوعاً.

ولكن ترى هل تكفي حياة التسبيح بحمد الله والتقديس لله لحدّ ثابت ومقام معلوم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١) لسان قال لهم يكشف عن حالهم الثابت إذ تدوم دونما تقدّم.

ثم وهل تكفي هذه دون معرفة لائحة بجناب قدسه؟ وفي هذه الخليفة الأرضية من هم فوقهم في هذه وتلك رغم أنهم سماويون؟

إذاً فالجواب: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو على إجماله كلّ الجواب، عن سؤال الإفساد والسفك، ورعونة التسبيح بالحمد والتقديس، بما علم آدم الأسماء كلها، وبما أنبأهم آدم الأسماء كلها:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ^(٣٢) قَالَ يَتَادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ^(٣٣) :

وها نحن مع الملائكة ننظر بعين البصيرة، ونسمع بأذن صاغية، ونعي بقلوب واعية في ومضات الاستشراق، ما هذا السرّ الإلهي الذي اختصه الله

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.